الثورة
www.althawranews.net
الثلاثاء 28 رجب 1435هـ 27 مايو 2014م العدد 18086
Tuesday : 28 Rajab 1435 - 27 May 2014 - Issue No. 18086

الفن والحرية

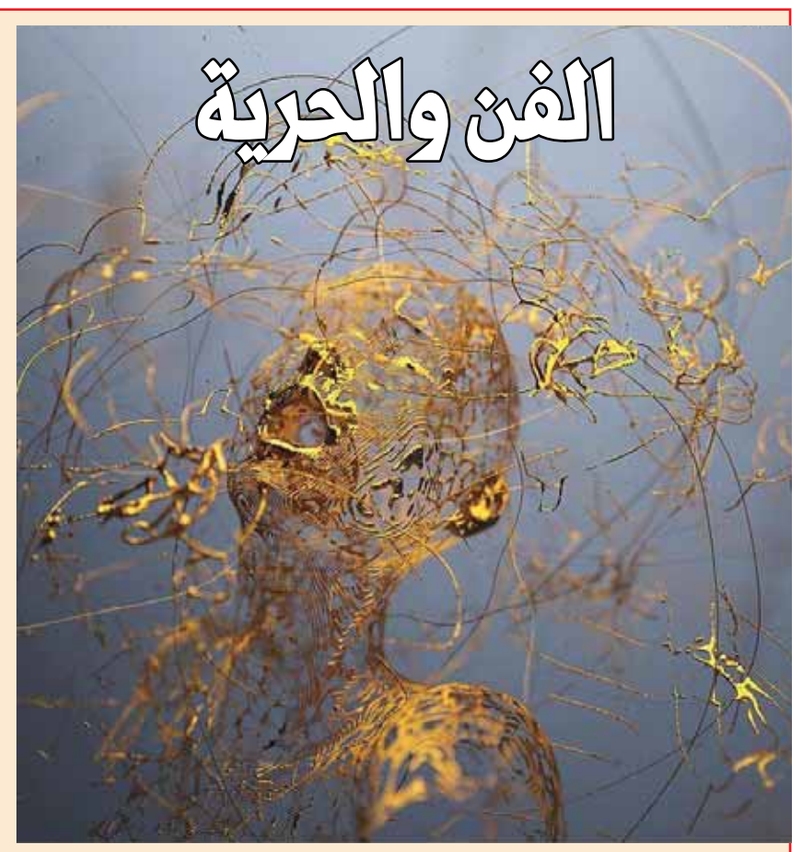

أحمد العرامي

لا يرتبط الفن بالحرية –فقط- من حيث إمكانية التعبير من خلاله عن القضايا الاجتماعية وعن الحريات، وحقوق الإنسان، وما إلى ذلك من المضامين الاجتماعية التي تحمل رسالة، بل يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك في علاقته بالحرية من حيث مفهومه الجوهري في حد ذاته، وطبيعته، وماهيته كفعل وممارسة.
فالفن عبارة عن علاقة جديدة بين الواقع والذات، بين الإنسان وما حوله، إذ يقوم على فكرة تشكيل علاقة مختلفة بين الأنا والفعل، وخلق طرق مختلفة في التفكير والتعبير والممارسة.
فإذا تجاوزنا التعريفات المألوفة لكل من الفن والحرية، إلى البحث عن العلاقة بينهما سنجد أن كلاً منهما يقوم على فكرة (تجاوز الواقع، فضاء التحرر، والانسلاخ من كل القيود).
فالشعر مثلاً يقوم على تشكيل علاقات لغوية جديدة، وإيجاد مساحة تعبير واسعة، وفضاء لغوي مجترح، يخالف المألوف، والشعر بهذا جزء من الفن الأدبي عموماً في قيامه جوهرياً على كسر العلاقة المرتهنة للمألوف في التعبير واستعمال اللغة، ومن ثم تشكيل علاقات جديدة بينها...
وأما الرسم فيستخدم الألوان الموجودة في الطبيعة لكنه يعيد تشكيلها بحرية، وفقاً لنظام ما لا بد أنه يخالف كل الأنظمة المألوفة وإلا لما سميناها إبداعاً، وأما السينما فتقوم بتحدي الواقع بخلق واقع جديد، وتتجاوز الزمن، والمكان، وحتى سنن دورانهما، وتتنقل في فضاءاتهما بحرية تامة، وتتجاوز كل قوانين الطبيعة، (حيث مثلاً يمكنك أن تشاهد حياة كاملة في ساعتين). بالإضافة إلى خلطها بين كل الفنون وأدوات الواقع (الصورة، الحركة، الموسيقى) ومزجها وفقاً لقواعد خاصة، مجترحة ومبتكرة.
بالنسبة للتصوير فيبدو تحدٍّ لعجلة الزمان والحدث، حين يحبسها في إطار، قد يكون ذلك عكس فعل الحرية، لكن أليس العجز عن الإمساك باللحظة أيضاً قد يشعرك بعبوديةٍ ما؟ لكن التصوير يمكننا من ذلك، وهنا يصبح الإمساك باللحظة تجاوزاً لقوانين الطبيعة، ومجاوزة للمألوف، وخرقاً له.

السينما... حرية

في عام 1938، في بلدٍ اسمه المكسيك وتحت توقيع بريتون والرسام المكسيكي دييجو ريبيرا صدر بيان بريتون - تروتسكي الذي دعا إلى (فن ثوري حر)، وإلى إنشاء «اتحاد أممي للفن الثوري الحر».
لحظات من الإنتجلنسيا الإبداعية الثورية، في حقبة أسقطت الإنسان، أعدمت ملامح حريته في مقاصل الفاشية والنازية و ألوهية ستالين من على منصة محاكمات موسكو الصورية، في حقبة الحرب، سحق الثورات بالقوة مثل ما حدث مع الثورة الإسبانية، في حقبة وصلت سيطرة القوى الشمولية السلفية في أماكن متعددة في العالم إلى مرحلة اللا عودة.

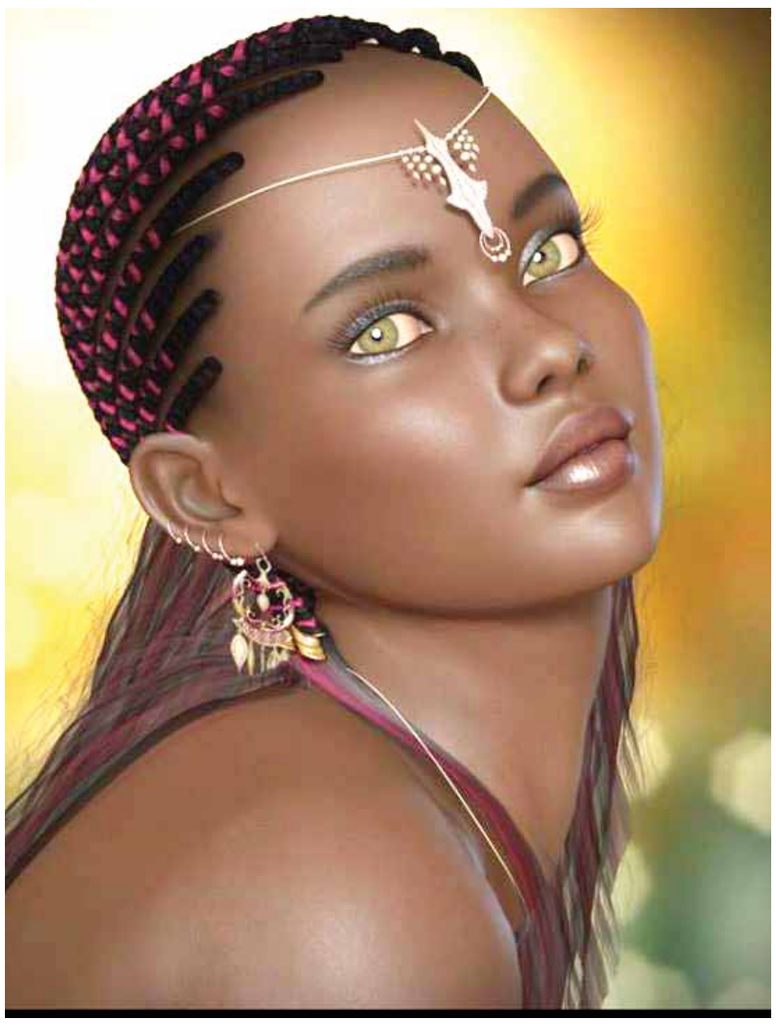

محمد الوشلي

تـوازنٌ شاء أن يحدث، بين أربـاب الكبت وأتباع كروبوتوكين ومالاتستا، الإنسان المحروق والرؤية الهيغلية التي تمجد الإنسان وحريته وتدعو الفن لأن تكون مهمته المطلقة مع الجماعي البدائي الشعبي محل الفن البرجوازي البارد، أن يكون فناً لدعم حقوق الفلاحين والفقراء والمضطهدين سياسياً ودينياً، أن تتجاوز رؤية الفن القصيدة واللوحة والفيلم السينمائي إلى ورائيات المستقبل وتطلعاته.
الكبت وتعذر إشباع الرغبات والتمتع بأقل مستويات العيش الكريم قد يتحوّل عن طريق التسامي إلى أعمال فنية لخفض معدّل التوتر الناشئ عن هذه الفجوة، في الجانب الذاتي للفنان مثلاً يتجاوز حتى فكرة الانتحار عبر هذا الإسقاط المحوّر للفقد في دائرة الخلق الفني، الفنان يصبح قادراً حينها على توسيع تلك الدائرة كي تصبح قادرة على استيعاب الآخر الفاقد للحياة ولطريقة التعبير عن المطالبة بها، الفنان وحده من يمتلك القدرة على فعل ذلك.
ولأن السينما - في زمن تقلصت فيه تقنيات الإمتاع البـصري بحيث أصبح بالإمكان التخلي عن دور عرض المسرحيات وحتّى دور عرض الأفلام لصالح الشاشات المنزلية - هي الفن الأكثر رواجاً في عصر الصورة الرقمية، ولأنّها بتعبير المذهب الفوضوي هي فن الشعب أكثر من الفنون المكتوبة والفوتوغرافية والمرسومة التي تميل عـادة إلى مجتمع النخبة إن لم تنكفئ على الفنان ذاته، لكل هذا كانت السينما منذ بدايات القرن الماضي الأكثر ارتباطاً بالناس وهمومهم وكل الأشياء الصغيرة التي تم حرمانهم منها لصالح إمبريالية الدولة وديماغوجية الفرد.
حديث الحرية في السينما يبدأ في المجتمع والسياسة ولا ينتهي فيهما، لا ينتهي بمجرد استحضار وقائع من مسـارات تحرر الناس وكفاحهم ونجاحهم في ذلك من عدمه، بل يصل إلى مدى قدرة السينما على تحرير مضامينها والأدوات الفنية التي تقترحه لتقديمها، وعلى التحقق أداة للتحرر وترسيخ الحاجة إلى الحرية في الواقع والإبداع، هنا كانت الإشكالية، قراءة مدى ارتباط هذه السينما بالواقع وانشغالاته وفق وعي متحرر، ببساطة تحرير الإبداعية السينمائية من المتجاوز والسائد عبر اقتراح ما ?نقض ذلك، كما ?عن?ه ربط تحر?ر السينما بأفق تحر?ر المجتمع والواقع.
في أوروبا مثلا وبالتحديد في إسبانيا وبعد سقوط حقبة فرانكو جـاء فيلم «صباح الخير أيتها الحرية» والذي كان مُعداً في الأصل لمعهد الفيلم البريطاني عبر جوانا جـيرو، هذا الفيلم الذي كان باكورة رؤية مجتمعية جديدة، ترفض القمع وتتحدث في مواضيع كانت شبه محرّمة في السابق، تجاوز المجتمع الإسباني في العقدين الأولـين مطالبه التقليدية إلى مطالب أكثر جدية وغرابة من وجهة النظر المحافظة، مواهب مثل بيدرو مودوفار، فرناندو تروبا وإيفان زولويتا، وعـبر مجالات أخرى كالتصوير ومجلات الهواة وبتأثير ساخن من موجة موسيقى البوب بشعارات صارخة مثل «مدريد لا تنام» و»الجميع في الشارع هذه الليلة» صار الحديث في الجنس والشذوذ الجنسي والنقد السياسي أمراً رائجاً.
ولم يختلف النموذج الإيطالي المشابه بعد سقوط الفاشية، لكن إيطاليا هي إسبانيا أكثر مما تظن، غير أن هناك الفاتيكان ومع ذلك يمكن القول أنّه مع العام 2013 كانت إيطاليا تعرض فيلما بلغتها للمخرج روبيرتو اندو تحت عنوان «تحيا الحرية»، لكن بلداً بعيداً عن كلا البلدين كل البعد كان يعيش تجربة سينمائية مشابهة، تجربة متمردة في واحدٍ من أكثر المجتمعات تقليدية في آسيا، التجربة الكورية الجنوبية، هذا البلد الذي عانى كثيراً من موجات التآمر الياباني وكذلك حرباً سابقة من عام 1950 إلى 1953 مع الأخ القديم ذي الطابع الشيوعي الآن كوريا الشمالية، ولأنّ المعسكر الرأسمالي المتمثل في الولايات المتحدة هو الحاضن الجديد للجنوبيين جاءت السينما لتواكب هذا التوجه الليبرالي لنرى فقط بعد ثلاث سنوات من الحرب المخرج هانق هيونق مو يفجّر في فيلمه «سيدتي الحرية» قنبلة بفيلمه الذي أحدث ثورة اجتماعية، حين دعا إلى وجوب تمتع المرأة باستقلالها المادي وتمتعها بالحياة وتعلّم الرقص بل إن المخرج استعرض تجربة البطلة الجنسية مع عشيقها في إطار عاطفي متمرّد على تقاليد كورية قاسية.

لوحة ونص

طلال قاسم

للمرأة الشغوفة بالقراءة غواية أخرى. هذه الأنثى تجعلني أغار، وأثار. امرأة تجعلني أشعر بأنها ندٌّ لي، بشغفها للمعرفة، برغبتها للإبصار، بتوقها للحياة، ولأحلامها الخاصة، امرأة لا تشعرني – بسذاجة - أني كل عالمها، لكنني نقطة مهمة فيه قد تكبر لتصير سماءً وبحراً، وقد تصغر لتكون نسمة عابرة مرت بين جدائل شعرها.
امرأة لا تترك الكتاب الذي تقرأه بسهولة، بل تقاوم كحصان جامح، وحين تستسلم لي، لا تستطيع كتم شغفها بفكرة ما على ذلك الكتاب الملقى عنوة، امرأة لا تتوقف عن الثرثرة حول فضولها تجاه الحياة، تجاه أحلامها، عن شغفها بالرقص على كل فكرة تطالها، امرأة تجيد تعرية أفكارها، بنفس الإثارة التي تعري بها ملابسها، بل وتجيد تعريتي أيضاً من كل شيء إلا منها، ومني، ومن تلك الأحلام التي أتمسك بها أكثر من أي شيء آخر. امرأة لا تطالبني بخلع أحد أحلامي من أجلها، ولا تخلع هي أحلامها من أجلي، امرأة مزاجية إلى ذلك الحدّ الذي تفهم هي مزاجيتي المفرطة. امرأة أشعر معها أني في سباق مثير في كل شيء.

التصوير الضوئي، أو التايم لابس

تايم لابس أو تصوير مرور الوقت أو الفاصل الزمني (بالإنجليزية الأميركية: Time-lapse) تايم لابس تقنية تصوير تعتمد على التلاعب في الفاصل الزمني بين الإطـارات المعروضة فمثلا لو التقطنا مجموعة من الصور (اطارات) بفاصل زمني بين كل واحـد نصف ثانية وقمنا بدمج هـذه الإطـارات معاً بفاصل 0.03 من الثانية بين كل إطار فإنه سينتج لدينا مشهداً سريعاً وعادة ما تستخدم هذه التقنية للأشياء التي تحدث ببطء مثل شروق الشمس وغروبها أو نمو النباتات بالإضافة إلى تصوير حركة المجرات ليلا.

أعـــمـــال نـحـت